

شَرُّ عَاةٍ وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّاهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنذِرُ الَّذِينَ كُفَرُوا بِمَا كُفَرْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ... التي تعني أن المذاهب والحضارات والثقافات قائمة على أساس التنوع و الاختلاف. ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين في ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم وعقائدهم، ودان الصراع فيما بينهم، الذي يفضي الى قضاء بعضهم على بعض، والى الاستكبار في الأرض، فانه دعاهم الى التسابق فيما بينهم على طاعته، وعلى عمل الصالحات، كما جاء في تنمة الآية الثامنة و الاربعين من سورة المائدة: (وَلَا يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنذِرُ الَّذِينَ كُفَرُوا فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:48); كما دعاهم الى الحوار فيما بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاء في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة النحل. وهكذا، فالحوار بين الناس مبدأ أساسي من مبادئ القرآن الكريم، حتى ان الله جل جلاله استعمل الحوار لترسيخ هذا المبدأ الانساني الذي لا غنى عنه لقيام التعارف والتواصل والتعاون بين الناس، وإحلال المودة والسلام فيما بينهم. ومن نماذج الحوارات القرآنية الإلهية التربوية والتعليمية الرائعة المنطق والبلاغة، نذكر على سبيل المثال: أولاً- حوار الله تعالى مع الملائكة: ان اول حوار ساقه القرآن الكريم و يستدعي التأمل و النظر والاعتبار هو الحوار الذي جاء في الآية الثلاثين من سورة البقرة، بين الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته من الملائكة، حول خلافة الانسان في الارض. فقد احتج الملائكة على الخالق عزوجل لجعله الانسان خليفة في الارض، وهو من طبعه الإفساد وسفك الدماء، وعدم الالتفات اليهم، وهم المؤمنون به، الذين يقدسون اسمه ويسبحون بحمده. فلم يعرض الله تعالى عنهم، ولم يغضب عليهم، ولم يعاقبهم، بل حاورهم بسماحة المقنن، العالم، الذي لا يصادر رأيا، ولا يتأفف من جهل أو عصيان. (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). ثانياً - حوار الله تعالى مع إبليس: لم يقتصر الحوار الالهي القرآني على الملائكة المؤمنين بالله تعالى فسحب، وانما تعداه الى غير المؤمنين، وعلى رأسهم: الشيطان، ابليس. لقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا، الا ابليس، أبى واستكبر، مدعياً انه أفضل من آدم لانه مخلوق من نار و آدم مخلوق من طين. ومع ذلك، حاوره الله تعالى واستجاب لطلبه، ليتعرف الانسان حقيقة ابليس وطبيعته الشرية واستكباره وتعاليمه على الخلق، ودفعهم الى الشر، وسبب طرده من الجنة. وهذا مما يدل على ضرورة الحوار بين الناس كافة من أجل معرفة بعضهم

حقيقة دخائل وسرائر بعضهم الآخر، من دون أي ضغط مادي أو اكراه معنوي، وبغاية قيام التفاهم والتصالح والسلام فيما بينهم عوضاً عن التخاصم والتنازع والتصادم. (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ - أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَزَاخِيرُ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83). قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85). ثالثاً - حوار الله تعالى مع أنبيائه؛ لقد خلق الله تعالى آدم وجعله أفضل من الملائكة وأعظم. وشاء أن تكون الجنة سكناً له لزوجه حواء؛ وأعطاهما حرية الأكل مما يشاءان ما عدا شجرة معينة حرم عليهما الاقتراب منها، وحذرهما الشيطان ابليس عدوهما المبين. ولكن إبليس وسوس لهما، وأقسم بأن الله نهاهما عن الاقتراب من هذه الشجرة التي هي شجرة الخلد، لأنه لا يريد هما أن يكونا ملكين أو من الخالدين. فأكلا منها، فبدت لكل منهما عورته، وأخذا يستتران بورق من الجنة، فعاقبهما الله سبحانه وتعالى على معصيتهما، فطلبوا المغفرة والرحمة، فقال: اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) قَالَ رَبِّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(23) قَالَ اهْبِطُوا بِعَعُضُكُمْ لِبِعْعُضٍ عَدُوٍّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25). رابعاً - حوار ا﷑ تعالى مع نوح(عليه السلام): عندما دعا نوح ابنه الى ترك الكافرين وركوب السفينة، فيكون من الناجين من الطوفان، وأجابه ابنه أنه سيأوي الى جبل يعصمه من الغرق، نادى نوح ربه أن ابنه هذا هو من أهله الذي وعد ا﷑ بنجاتهم. فأجابه ا﷑ تعالى: أن ابنه ليس من أهله حتى ينجيه. (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَهْلِي وَإِنِّي لَأَكِيدُ ابْنِي وَتَمُوتُ وَتَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ) (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّ نَبِيَّكَ إِذْ نَزَّاهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (سوره هود/ آية: 45 - 46). خامساً - حوار ا﷑ تعالى مع ابراهيم الخليل (عليه السلام) على الرغم من ايمان ابراهيم الخليل (عليه السلام) با﷑ سبحانه وتعالى، وقدرته المطلقة على احياء الموتى، فانه طلب منه أن يريه كيف يحيى الموتى حتى يطمئن قلبه. فاستجاب ا﷑ تعالى لطلبه قائلاً له: خذ أربعة من الطير فقطعها أربعة أجزاء، ثم ضع كل جزء على جبل، ثم ادعها بأسمائها تأتيك. فأخذ ابراهيم ديكاً وغراباً وطاووساً ونسراً وقطعها أربعة أجزاء، وأمسك رؤوسها عنده، ووضع كل جزء على جبل، ثم دعاها بأسمائها فتطايرت الاجزاء من كل جبل بعضها الى بعض حتى تكاملت، ثم أقبلت على رؤوسها التي عند ابراهيم. يقول ا﷑ تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي وَتَجِدُنِي فِي سُلَيْمِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّ لِي لَآيَاتٍ لِّكُنتُمْ أَجْعَلُ عَلَيْكُمْ كُلِّ شَيْءٍ جَدِيدًا مِّنْهُنَّ جَزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّاهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة البقرة / آية: 260). سادساً - حوار ا﷑ تعالى مع موسى (عليه السلام): عندما بلغ موسى جبل الطور وهو مع أهل بيته في طريقه الى مصر، ناداه ا﷑ تعالى: يا موسى! اني انا ا﷑ رب العالمين. وإقناع موسى بذلك، قال ا﷑ عزوجل، له: ألق عصاك، فألقاها، فرآها تتحرك بسرعة كالحية الصغيرة، فولى منها مديراً هارباً. فناداه ا﷑ تعالى يا موسى، عد ولا تخف، انك من الآمنين من شرها. فعاد موسى واخذها، فاذا هي عصاً كما كانت. ثم قال ا﷑ تعالى له: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كضوء الشمس من غير سوء، فذانك حجتان لك من ربك على فرعون و قومه لدعوتهم الى ا﷑ التخلي عن فسقهم وشركهم. فقال موسى: رب! انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون، واخي هارون أفصح مني كلاماً - وكان على لسان موسى رته - فأرسله معي معيناف لي بعبر عني ويصدق قولي، فاستجاب ا﷑ لرغبته قائلاً: سنشد أزرك بأخيك هارون، ونجعل لكما الغلبة فلا يملكما سوء. ثم بعد حين، نادى موسى ربه قائلاً:

ربنا! لقد آتيت فرعون و قومه أموالا كثيرة، فاضلوا بذلك عبادك عن طاعتك فاطمس على أموالهم وأرهم العذاب الاليم. فقال ا [فقال تعالى له ولهارون: لقد استجيت لدعوتكما، وأغرق فرعون وجنده في البحر. يقول ا [جل و علا: (فَلَمَّسَّا أَتَاهَا نُودِيَّ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّسَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّ زَهَّاهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّْي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مِمَّا سُلْطَانَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) (سورة القصص / آيه: 30 - 35). كما يقول ا [تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَنَّا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبِّنَّا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبِّنَّا اطْمَئِنَّ عَالِي أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَي قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)) (سورة يونس/ آية 88 - 89) ولم يكن الحوار القرآني بين ا [وملائكته وأنبيائه فحسب، بل تعدى ذلك الى الحوار بين الانبياء والبشر، والى تدخل ا [في ذلك الحوار، فالآيات الأولى من سورة المجادلة مثلا، تخاطب النبي محمداً (ص) قائلة: ان ا [يا محمد قد سمع مقالة المرأة التي تكلمك في شأن زوجها الذي طاهرها، وتتضرع الى ا [لمعرفة حكمه، والحكم هو أن الظهار منكر وافك مبين.. الخ. (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّ رَبَّهُمْ وَلَدُوهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (2) (المجادلة/ 1-2). كما أن ا [تعالى يخاطب نبيه محمداً (ص) في الآيتين الواحد والستين والثالثة والستين من سورة آل عمران قائلاً: من جادلك في عيسى بأنه لم يكن ا [، ولا ولده، ولا شريكه، كما جاءك البيان من عندي،

وأنبياؤه، كما استعمله الرسل مع الناس على اختلافهم، وبخاصة نبينا محمد (ص)، فمن الاولى أن يكون الحوار أمرا مندوبا اليه، ومنهجاً للمسلمين عند الاختلاف فيما بينهم في أمر من امورهم السياسية، أو في موضوع من المواضيع العقدية أو التشريعية لاسيما وأنهم جميعا يؤمنون بقرآن واحد لا خلاف على ما جاء بين دفتيه، ويتبنون سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، ويتعرضون اليوم في عصر العولمة الفكرية والثقافية والسياسية والتجارية الاستعمارية الغربية الاميركية، لأشرس هجمة على معتقداتهم الدينية وقناعاتهم السياسية والاخلاقية، مما يحتم عليهم الوقوف صفا واحدا ازاء هذه الحرب المنظمة عليهم، في أفغانستان والعراق والسودان والصومال وفلسطين ولبنان و سوريا و ايران وتناسي خلافاتهم المذهبية الفقهية التي لا تفسد في الأساس هويتهم الاسلامية الواحدة، القائمة على الايمان بكتاب الله الواحد: القرآن الكريم، وبسنة نبيه محمد(ص) رسوله الى العالمين. ويبقى على علماء الأمة من جميع المذاهب أن يبادروا الى اعلان موقفهم الاسلامي الواحد الراض لكل ما يدبر لها في دوائر الاستعمار والاستكبار العالمية الصهيونية، وأن يصدروا الفتاوى الشرعية التي تدعو الى وجوب وحدة الامة دينياً وسياسياً، وتحرم التعصب الديني المذهبي، وتدين تكفير بعض المسلمين لبعضهم الآخر.